الفصل التمهيدي

I- تعريف الأخلاق:

نجد في اللغة العربية مصطلحين يرتبطان بالمجال الأخلاقي، هذا في المصطلحات هما: الأخلاق والآداب غير أنه يجب القول بأننا لا ينبغي لنا أن نخلط بينهما، فقد استعملت كلمة "أدب" للدلالة على الحكم القصار والجمل التي تعبر عن المعاني الخلقية، وغالبا ما تكون في صيغة الجمع، وأحيانا تكون في صيغة المفرد فقد جاءت كتب تحمل اسم "الأدب" مثل كتاب "أدب الدنيا والدين" لأبي الحسن الماوردي، ومثل كتابي "الأدب الكبير" و"الأدب الصغير" لابن المقفع و هي تدل على معان خلقية مختلفة، ومن ناحية أخرى فالأدب أقل عمقا من الأخلاق وأكثر شمولا منها، لأن معناه يتضمن ثقافة أدبية حسنة لا سبيل إلى عدها بين الفضائل أو على الأقل بين أمهات تلك الفضائل ويرتبط بالأخلاق من جهة أخرى ما يسمى بالنصائح أو الوصايا[1].

I.1-الأخلاق في اللغة: الأخلاق جمع خلق، والخلق في اللغة هو السجية والطبع والطبيعة والمروءة والدين، وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنية، وهو نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها منزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة.[2]

وقبل: ما أخذ به الإنسان من الأدب يسمى خلقا، لأنه يصبر كخلقه فيه، ومعنى هذا أن الخلق حال للنفس أو فعل من أفعالها، تقوم به باستمرار، بحيث يصبح عادة وطبعا لها، وطريقا ومنهاجا تسلكه وتسير تبعا له، أي أن الفعل إذا صدر عن النفس مرة واحدة آو في ظروف معينة لا يبعد خلقا لها، إذا الغرض من تعريف الخلق بأن السجية والطبع بالدين أن يكون الفعل راسخا في النفس الإنسانية بحيث يقال عن صاحبه أن ذلك خلق له إذا صدر ذلك الخلق عنه.

والمعاني اللغوية لكلمة "الأخلاق" تدل على أن للأخلاق جانبين أحدهما: نفسي باطني، والآخر سلوكي ظاهري أي أن الأخلاق نفسية أو معنوية[3]فيقال: الخلق والخلق، وهو عبارتان مستعملتان معا، فيقال فلان حاسن الخلق، أي حسن الباطن والظاهر، والخلق هنا مفتوحة لأنها تعين الصورة الظاهرة لإنسان، وأما جاء منها بالضم، فهي الصورة

---

(1)- كارادى فو، مقال بدائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص437- 445- 446.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، ج1،ب ط،دار الكتاب العلمية،لبنان،بيروت،تحقيق عامر أحمد،د ت، مادة"الخلق"، ص10.

(3)- محمد عبد القادر حاتم، الأخلاق في الإسلام، ب ط،ترجمة سوسن سالم، د ت، ص11-12.

الباطنية لإنسان ولكل واحد منهما صورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الحسد المدرك بالبصر.[1]

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم [2]﴾ وقوله: ﴿خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين[3]﴾.

I.2- الأخلاق في الاصطلاح:

هناك تعريفات كثيرة للأخلاق في معناها الاصطلاحي نكتفي بذكر بعض النماذج لهذه التعريفات:

يقول "مسكوية"[4]: «الأخلاق حال للنفس داعية لها أفعالها من غير فكر ولا روية أو هذا الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب أو ربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حين يصير ملكة وخلقا».

وهذا التعريف يعد تعريفا ناقصا من حيث المصطلح، وذلك لان الفعل الخلقي يجب أن يتصف بصفتين أساسيتين هما: الإرادة والقيمة الجمالية للفعل، فلا نستطيع أن نسمي فعلا ما بأنه فعل خلقي إلا إذا كان صادرا عن إرادة حرة حكيمة، كما انه لابد أن يحتوي على الحكم بأنه خير أو شر.

ويقول "الجرجاني" في تعريف الخلق: «الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من حاجة إلى الفكر و رواية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عليها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا أنه هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من

---

(1)– قدور إبراهيم وعمار المعاصي، معاني الجوانب الأخلاقية في الإسلام،ب ط، د ت، ص55– 56.

(2)– القرءان الكريم، سورة القلم، الآية 4.

(3)– القرءان الكريم، سورة الأعراف،الآية 199.

(4)–ابن مسكويه: وهو الشيخ أبي علي أحمد ابن محمد ابن يعقوب ابن مسكويه يعتبر أول من وجه الأنظار إلى الدراسات الأخلاقية وهو باحث ومؤرخ أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها عام 421هـ/1030م، اشتغل بالكمياء والفلسفة والمنطق و أولع بالأدب والتاريخ ثم كتب عضد الدولة ابن بويه، ثم اختص ببهاء دولة البويهي وعظم شانه عنده وألف الكثير من الكتب منها تجارب الهمم وتعاقب الهمم في التاريخ وطهارة النفس، والفوز الأصغر في عصور الديانات والفوز الأكبر، وترتيب السعادات في الأخلاق. وانظر ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق ابن الخطيب، ط1، المطبعة المصرية، 1924، ص 3.

تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خلقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال أو المانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء».

يبدو أن هذا التعريف مأخوذ من الغزالي في كتابه القيم "أحياء علوم الدين" إذ هو مذكور فيه، وفي غيره من كتب الغزالي.

على أية حال، هذا التعريف الذي تلقيناه عن "الجرجاني" لا يفرق بين الحكم على الشيء بأنه خير أو شر وبين الحكم عليه بأنه جميل أو قبيح.[1]

وقد عرف "لالاند" في معجمه الأخلاق بعدة تعريفات عرفها كما يلي:

– إن الأخلاق تعن مجموع قواعد السلوك مأخوذة من حيث هي غير مشروطة وقد يقصد بها العمل أو السلوك المطابق للأخلاق حيث نتحدث عن تقدم الأخلاق كما تعني نظرية عقلية في الخير والشر نتيجة نحو نتائج معيارية.

كما عرف "لوسن" (1882–1954) فيلسوف الأخلاق المعاصر، الأخلاق بأنها «مجموع متفاوت النسق من التحديات المثالية والقواعد والغايات التي يجب من الأنا أن يحققها بفعله في الوجود حتى يزداد هذا الوجـــود قبلـه، وتبعا لذلك فإن الأخلاق تعبر عن الأخلاقية بطريقة عقلية، والأخلاقية هي مسؤولية الأنا بالفعل تجاه القيمة من حيث هي تشمل فعلا محددا، فمثلا مجد الفنان في أن يسهم في الكشف عن العمال، وبحثه الفني الخالص مستقل عن الأخلاق، لكن حين نجعل من الواجب عليه أن يعمل على هذا الإسهام، فإن بحث الفنان يندرج هنا تحت الأخلاقية، ومن ثم ينتهي "لوسن" إلى القول: بأن الأخلاق هي تحديد السلوك الإنساني بشرط أن نفهم من هذا التحديد الطريقة التي بها تحدد والتحديد المقتضى من الذات بوصفه محددا للقيمة ولا يضاح هذا التعريف نقول أن الذات أو الأنا يقرر لنفسه غاية معينة ينبغي عليه السعي لبلوغها آو قاعدة عليه أن يطيعها وتحديد هذه الغاية وتقرير هذه القاعدة أو القواعد هما مهمة الأخلاق».[2]

أما "بسكال" فله رأى أخرى حيث يقول: إن الأخلاق هي علم الإنسان باعتبار أن الأخلاق تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، ويعد هذا التعريف تعريفا فضفاضا كما يخلط بين الأخلاق وبين الأنثرويولوجيا والتي هي علم الإنسان.

---

(1)– محمد عبد القادر حاتم، مرجع سابق، ص 12– 13.

(2)– فايزة أنور وأحمد شكرى،القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم،ب ط، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، د ت، ص 85– 86.

أما "سنيسر" فيعرف الأخلاق بأنها العلم الذي يبحث في النشاط الإنساني من حيث ما يحققه هذا النشاط للأخويين من نتائج مفيدة أو ضارة، وهذا التعرف و إن كان أكثر تفصيلا من سابقه، إلا أنه يخلط بين النشاط الأخلاقي المنزه عن الغرض، وبين أوجه النشاط النفعية.

ولكن يعترض على التعريفين السابقين في استخدام لفظة "علم" فالعلم يتعلق دائما بما هو كائن، ويتخذ من الظواهر موضوعا لدراسته، فيصفها "ليلم" بحقيقتها، وتحاول إيجاد العلاقة فيما بينهما، ويضيع هـذا في شكـل قوانين، هي أحكام تقديرية.

أما الأخلاق فهي تتعلق دائما بما ينبغي أن يكون وأحكامها تقديم له واقرب إلى فكر عقلي يدور حول الخير والشر.[1]

والأخلاق تتأمل، وتعرف وتقدر بحدود الخير والشر النيات، والأفعـال والآثار المتصلـة بالفرد باعتباره فردا، أو باعتبار علاقته بسائد الأفراد، وهذه الأخلاق بمعنى الأوسع تبدو في أول الآخر دلالات وقيـم لا تستهـدف وصف، وفهم، وتعريف وضع الإنسان من حيث علاقاته بالعالم، فمثل ذلك قد يكون موضوع الميتافيزياء بل تستهدف وصف، وفهم وتعريف فعل الإنسان الذي به يفرض على نفسه، ويضع نفسه موضوع حرية بالنسبة للآخرين، وللعالم وهذه الجملة من الدلالات والقيم ستنهض بوظيفتها نهوضا أفضل كلـما زاد اتساقهـا وجـلاؤها، فالأخلاق هي نظرية ممارسة بالدرجة الأولى لا يمكن أن تنفصل عن الواقع المعاش الذي تسعى لفهمه ونظمه.[2]

وهكذا تختلف الآراء حول تحديد معني محدد للأخلاق تبعا لاختلاف وجهات نظر الفلاسفة، ومع هذا فمن الممكن وضع تعريف عام يصف الإطار العام للأخلاق، ويحدد القدر المشترك بين مختلف التعريفات والمتفق عليه عنه الفلاسفة والباحثين في مختلف الأزمان وهو:

إن الأخلاق في العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان، والعلم بالرذائل وكيفية توقيعها ليتخلى عنها، والإلمام بقواعد السلوك الإنساني، والمقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإدارية، فيحكم عليهـا بأنها خير أو شر مع تحديد الجزاء لكل منهما، والغاية التي تتوخاها الأخلاق من كل ذلك هي تحقيق السعادة النفسية

---

(1)– أحمد عبد الحليم عطية، الأخلاق في الفكر الغربي المعاصر، دراسة تحليلية للاتجاهات الأخلاقية الحالية في الوطن الغربي، ب ط ،د ت، ص4. انظر إلى عبد الوهاب جعفر، مذكرة في فلسفة الأخلاق، ط1،كلية الأدب، جامعة الإسكندرية، 1991، ص21.

(2)– ريمون بولان، الأخلاق والسياسة، ط2 ،دار طلاس للدراسات والنشر،1992، ص189.

والطمأنينة القلبية للإنسان، وتهيئة الحياة الآمنة والعيشة الراضية له في حياته الآجلة والعاجلة أما موضوعها فهو أعمال الإنسان الإرادية الصادرة عن تفكير وروية. [1] وفائدتها هي تقويم الأفعال والأعمال التي يأتيهـــا النـــاس تقويمـــا سليما، وتوضيح أن الإنسان المثالي هو المتحلي دائما بالفضائل، وانه بفضلها يحيا حياة صالحة قويمة السعيدة ويكون اقرب إلى الله واعلي منزلة وهنا نتساءل: هل في استطاعة الأخلاق تبين للإنسان طريقي الخير والشر وتوضح له أثارهما، والإنسان بعد ذلك حر في اختبار طريقه، ومعنى هذا أن الأخلاق لا تفيدنا ما لم تكن لنا إرادة تنفذ أوامرها وتجنبا نواهيها، ولكي يكون الناس أخيارا يجب أن يتوفر عاملان أساسيان:

الأول:إن استعداد المرء طيبا وأن يكون مبال بطبيعة إلى الخير والتقوى والصلاح ويكره الرذيلة بوازع داخلي من ضميره ووحداته.

الثاني: أن يتقبل ويتبع أوامر الأخلاق وما تخص عليه من الفضائل وان يؤمن برسالتها ويحملها ويبشر بها.

ولهذا تنقسم الأخلاق إلى قسمين رئيسين:

أولهما قسم نظري: يختص بالبحث في ماهية الخير والشر والفضيلة والرذيلة، والواجب والإرادة والمسؤولية والإلزام والالتزام ووضع قواعد السلوك، ومقاييس الأعمال والبحث في الضمير الإنساني أو حقيقته ومظاهره، كما انه يعني بتحديد غاية الإنسان من هذه الحياة والحال الذي ينشده والذي تتحقق به سعادته.

وثانيهما قسم عملي: يختص بالرقابة لممارسة الجانب النظري ومدى تطبيقه في الحياة الواقعية للفرد والجماعة بحيث يكون من شأنه الحكم بمطابقة الفعل أو عدم مطابقته لقانون الأخلاق وبموافقته أو عدم موافقته. [2]

لمعاني الحق والواجب ولمقاييس الأخلاق، سواء تعلق ذلك بالفرد أو الجماعة كالبحث في أقوم الطرق لتربية الخلق، واستقامة الضمير، وتعويد الإنسان على الأفعال الحميدة بتكرارها، وإبعاده عن نقائضها بهجرها ولهذا اعتمد المربون والمرشدون على الأخلاق في شؤون التربية والتهذيب لعنايتها بالجانب العملي التطبيقي من سلوك الأفراد والجماعات.

ويحدثنا التاريخ بأن الشعوب التي كانت تعمر الأرض منذ القدم السحيق كان لها فلسفة وأخلاق وعلى الأخص الأخلاق العملية التي مرنوا عليها في مجتمعاتهم، أما تدوين المذاهب النظرية والقواعد الفلسفية فلم تسمح به طبيعية

---

(1)– محمد بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، ط2 ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970،ص197– 198.

(2)– أبو بكر ذكره وعبد العزيز أحمد، مباحث ونظريات في علم الأخلاق، ط4،دار الفكر العربي،1960، ص 40.

حياتهم المليئة بالصعاب والكفاح في سبيل العيش، فعلى سبيل المثال كان قدماء المصريين يهتمون بالأخلاق العملية، فقد كانوا أصحاب سلوك منظم، كما كانوا يحملون نحو العدالة والأخلاق أسمى النزعات، كما كانت عقيدتهم الأساسية في محاكمة الموتى صورة رائعة توضح فكرتهم عن الخير والشر، وأما الشعوب العبرية فكانت لديهم تعاليم أخلاقية دينية أو أروع ما كان يلفت النظر في خلفيتهم هو النزعة السامية في تقرير الإنسانية، حيث كانوا يعتقدون أن الصلة بين العبد وربه هي صلة عقد وميثاق، وعلى العبد أن يخشى نقض ذلك الميثاق يوما حتى لا يحرم من محبة الله كما عرف قدماء الهنود (البراهمية والبوذية) بعض الوصايا التي تغني بتقوية الروابط الاجتماعية والتمييز بين الخير والشر على أساس أن لكل منهما اله فالخير هو سبيل الفضيلة لمساعدة اله الخير على التغلب على إله الشر، وكذلك الصينيون وعلى رأسهم "كونفوسشيوس" هو اسبق الشعوب القديمة إلى استلهام فلسفة الأخلاق والبحث فيها، فهو أول من نادى بنكرة الواجب داعيا إلى تقديسه وجعله مقياسا للسلوك، فالخير عنده في إتباع نادى بنكر الواجب داعيا غلى تقديسه وجعله مقياسا للسلوك، فالخير عنده في إتباع طريقة الواجب، أما الشر فيكمن في إهماله، كما كان يرى الفضيلة العليا تكمن من في سيادة المحبة بين الناس [1].

حقيقة أن الأخلاق صفة لازمة للإنسان، فهي تضمن التوفير والإجلال، وتحد من أفعال الأفراد إذا كان أثرها إيذاء الخير، وتفرض عليهم واجبات، فكل منا يميز بين الأخلاقي وغير الأخلاقي وان اختلفت معايير هذا التمييز [2].

(1)– فايزة أنوروأحمد شكري، مرجع سابق، ص 86– 87.

(2)– عيسى الحسن،موسوعة الحضارات،ط1،دار الأهلية للنشر والتوزيع،2007 ، ص30.

II – الأخلاق عند الفلاسفة: (فلسفة الغرب "اليونان"):

«سقراط، أفلاطون، ارسطوا» كنموذج:

وجه الفلاسفة اليونانيون منذ عهد سقراط جزءا كثيرا من عينياتهم إلى الأخلاق ولذا يقال إن هذا الفيلسوف هو أول من انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض فقد كان الفلاسفة قبله يهتمون بالمسائل الكونية وما بعد الطبيعية.

أما "سقراط" فقد شغل نفسه قبل كل شيء بتحقيق السعادة للإنسان، وقد حذا وقد حذوه بعد ذلك تلميذة "أفلاطون" ثم "أرسطو" ولم يصلنا من أقوال "سقراط" إلا القليل ومعظم ما نعرفه عن مذهبه في الأخلاق جاء على لسان "أفلاطون" في محاوراته وما يلفت النظر أن المذاهب اليونانية على اختلاف تفاصيلها تتفق من حيث الأساس الذي تقوم عليه وهو أن الإنسان يجب أن يعيش وفقا لطبيعته ولكن هذا المبدأ يثير تسأ بين الأول: ما هو النزوع الحقيقي الذي تنزع إليه الطبيعة الإنسانية وفي الإجابة على هذا السؤال يتعرض الفلاسفة وخصوصا "سقراط" لفكرة المعرفة وكيفية الاستعانة بها في توجيه الإنسان وسلوكه هذا الذي يجب أن يلاءم طبيعة الإنسان إذا يجب ألا يحظى المرء وهو يبحث عن سعادته الوسائل الصحيحة التي تؤدي إلى السعادة الحقيقية ولا يستطيع الإنسان بطبيعة الحال أن يوجد سلوكه الوجهة الصحيحة وإذا كانت تنقصه المعرفة الصحيحة بما تصبوا إليه طبيعته وهكذا نرى أن هذه المسالة الأولى تتلخص بالنسبة إلى الفلاسفة في تعريف الخير الاسمي، وأن الإنسان يبحث بغريزته عن السعادة على هذا الرأي اتفق جميع الفلاسفة ولكنها اختلفوا على تحديد عناصر هذه السعادة والوسائل التي تؤدي إليها والمسالة الثانية إذن هي التي تهتم بالبحث عن الوسائل التي تؤدي إلى بلوغ السعادة.[1]

II.1. أراء سقراط:

يرى مؤرخو الفلسفة أن "سقراط" هو مؤسس الفلسفة الأخلاقية في العالم الغربي ومن العبر كما قلنا أن نصل إلى تحديد أرائه من مذهب دقيق واضح المعالم لأن "سقراط" لم يكتب شيئا بل كانت تعاليمه على شكل أحاديث مع العامة، صوره "أفلاطون" في محاوراته مع ذلك نستطيع القول أن "سقراط" قد وضع القواعد الأساسية للأخلاق تلك القواعد التي بني عليها بعده فلاسفة العصور الوسطى حتى ظهور المسيحية.[2]

---

(1)– عبد الوهاب جعفر، مرجع سابق، ص 113– 114.

(2)– عبد الوهاب جعفر، مرجع سابق ، ص115.

*** الميتافريقيا: ما وراء الطبيعة.**

جاءنا ما نعرفه عن "سقراط" على لسان "أفلاطون" في محاوراته كما أشرنا سابقا أن "سقراط" لم يفصل الأخلاق عن الدين أو الميتافيزيقا* . الحياة الخلقية عنده تعتمد على الأصلين: قوانين الدولة المكتوبة، والقوانين الإلهية غير المكتوبة وأشار إلى أهمية موضوع الاعتقاد خلود النفس في الأخلاق، وخلود النفس مسألة ميثافيزيقية أو بالأخرى دينية، والاعتقاد خلود النفس مسألة ضرورية[1] لإمكان قيام حياة خلقية تقتضي المسؤولية والحساب.

ويرى "سقراط" أن الإنسان لا يمكن أن يكشف خبايا النفس، ويعيش كما ينبغـــي إلا إذا توصـــل إلى الحكمـــة، وحقق شعار أعرف نفسك بنفسك فهو الموصل للسعادة وأقل مظاهر عكوف النفس على ذاتها هو الرغبة في التخلص من تأثير بعض الآراء والعادات المتسلطة على النفس بحكم العادة والتقاليد وإذا أمكن للإنسان أن يتجرد من الأهواء والآراء المتسلطة أمكن أن يكون موضوعيا ومحايدا وعادلا واستطاع أن يحدد سلوكه في مجال أسرته وعمله ووطنه مما يوصل إلى الحرية والاستقلال الذاتي وذاتية الإرادة.[2]

معرفة الإنسان لنفسه، هذا هو الشرط الأول أو بداية الطريق التي توصل غلى الحكمة وإلى تحقيق السعادة.

إن السعادة كما يقال "سقراط" ليست في الجمال، ولا في القوة، ولا في الثراء ولا في المجد ولا في شيء مما يشبه هذه الصفات، فالسعادة ليست في المظاهر الخارجية المادية، ولكنها نتيجة حالة معنوية خالصة، وهذه الحالة المعنوية تتحقق إذا استطاع المرء أن يلاءم بين رغباته وبين الظروف التي يوجد فيها، والحكيم هو من لا يشغل نفسه بالرغبات التافهة، بل بالرغبات التي تعلى من قيمته في نظر نفسه، وفي نظر الناس، ويقول "سقراط" في رده على تهكم "أنتيفون" به: «ليست السعادة في الأبهة والجري وراء الملذات بل إني اعتقد انه إذا كان من صفات الإله أن يحتاج إلى شيء، فلا شك أن تقترب من هذا الكمال الإلهي كلما قلت حاجاتنا، وليس الفقر والغنى إذن في بيوتنا كما يقول "سقراط" بل في لكنه في نفوسنا، ولسنا نسعد بتكديس الذهب والفضة، ولكننا نسعد إذا بحكمه حاجاتنا وشهواتنا».

وهناك العبارة التي وردت على لسان "سقراط" وهي: «إن الإنسان لا يفعل الشر بإرادته، وأن الفضيلة ليست إلى ثمرة المعرفة، فما يعني "سقراط" في الوقائع، بالسلوك الطيب؟ إنه يعني بذلك أن يتبين المرء طبيعة السعادة الحقيقية، فإذا تسببت هذه الطبيعة فلا بد أن يسلك السبل التي تؤدي إليها، وهو إذا فعل عكس ذلك، فلابد أنه يجهل حقيقة

---

(1)– حسين عبد الحميدوأحمد رشوان، الأخلاق "دراسة في علم الاجتماع الأخلاقي"، ط1، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع ، مصر، الإسكندرية، 2008، ، ص59.

(2)– نفسه ، ص59.

السعادة، فسوء التصرف إذن ناتج عن الجهل، وعبارة "سقراط" «إن الإنسان لا يقال الشر بإرادته » معناه الحقيقي هو أن دور الإنسان لا يخطئ طريق سعادته محتارا وحين نفهم هذه العبارة على هذا النحو ينفي عندهما كل تناقض».

وقد عني "سقراط" بعد ذلك ببيان الفضائل التي توصل إلى السعادة الحقيقية، وأول هذه الفضائل الاعتدال، والاعتدال وحده هو الذي يوصل إلى إدراك المتعة الحقيقية وثاني هذه الفضائل العمل: فالعمل نستطيع أن نحصل على ما نحتاج إليه بطريقة شريفة.[1]

ونستطيع أن نزود أذهاننا بأنواع المعرفة اللازمة لتنظيم جهودنا، والبطالة هي أساس الفساد، إذا أنها تبلي الذهن وتضعف الصحة وقد حث "سقراط" بالعدالة، وجعل منها غاية السلوكي الأخلاقي، وميز بين نوعين من القوانين كما أشرنا سابقا، قوانين مكتوبة وهي التي تنظم علاقات الناس اليومية وتحقق الوئام في المدينة، وهذه القوانين قد تختلف بحسب الأزمنة والأمكنة غير أن هناك قوانين أخرى غير مكتوبة وهي القوانين الأخلاقية، وهذه ألزم الإنسان من القوانين الأولى لأنها في الواقع أساسها، وهي في نظر "سقراط" مطلقة لا تتغير بتغيير الظروف والأحوال.*

والحكيم هو الذي يخضع نفسه لهذه القوانين لأنها صادرة في نظر "سقراط" عن إرادة الآلهة، كما أن في الخضوع لها راحة الضمير وسعادة النفس، على أن للخضوع للقوانين الإنسانية كذلك أمر واجب، لأنه شرط الحياة الآمنة وبعد فهذه هي الأفكار الأساسية التي ذاعت عن "سقراط"، وهي تنسجم فيما بينهما و لكنها لا تنتظم في مذهب كامل واضح المعالم، وذلك لأن سقراط لم يكتب شيئا: وقد دارت معظم أحاديث "سقراط" حول فكرة السعادة والوسائل التي تؤدي إلى تحقيقها، فإذا استطاع المرء أن يتبين معنى السعادة الحقيقية وهذه هي المعرفة فانه ولا شك عامل على بلوغها (وهذا هو السلوك الأخلاقي)، وهو حينئذ يسلك سبيل الحكمة وهذه الكلمة الوحيدة هي كل الأخلاق في نظر "سقراط".[2]

---

(1)– السيد محمد البدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ط1،دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 46– 47.

*** هذه في الحقيقة هي نظرة الفلاسفة جميعا إلى القواعد الأخلاقية، وسنرى عند الكلام عن المنهج الاجتماعي، إن علماء الاجتماع ينظرون على هذه القواعد على أنها نسبية.**

(2)– نفسه، ص 47– 48.

II.2- رأي أفلاطون:

اعتمد "أفلاطون" في وضع فلسفته الأخلاقية على نظرية في ثنائية النفس والبدن، وتتلخص نظريته في أن النفس كانت لها حياة سابقة في عالم الآلهة والحقائق، وهو الذي يسميه "أفلاطون" عالم المثل، ومن ثم عقبت النفس لسبب ما، علت في جسد هذا العالم الأرضي الذي ليس سوى صورة في عالم المثل، فأصبح هذا الجسد حاجزا كثيفا بين النفس والفضائل ولذلك كانت مقولته الشهيرة: «البدن سجن النفس » هذا المفهوم قاد "أفلاطون" إلى المبدأ السقراطي القائل بإذن الفضائل والقوانين الأخلاقية يتم توليدها من اكتناه حقيقته ما في ذات الإنسان، ويتم التوليد بالحوار ولهذا كانت كتابات "أفلاطون" في الغالب بأسلوب المحاورات تلم التي حاول "أفلاطون" بها أن يبث الأخلاق الحميدة في المجتمع، أو بالأخرى في المدينة الفاضلة.[1]

ولقد اهتم "أفلاطون" بتوضيح مذهبه الأخلاقي في الخير، فكان من المدافعين عن فكرة موضوعية القيم أي نحن الرأي القائل، فإن أحكام الناس عما هو خير أو شر، صواب أو خطا، جميل أو قبيح ينبغي ألا تخضع لمقاييس متغيرة تخضع لأذواقهم الفردية، وغنما الجواب أن تكون المقاييس التي تخضع لها هذه الأحكام ذات طابع أشمل لا يخضع للتغيير والتطور.

والسعادة عند "أفلاطون" غاية للسلوك الإنسان ولقد ظهرت لديه بوادر الأخلاق المطلقة، ففي مطلع الكتاب الثاني من الجمهورية، نراه يصنف الأشياء الخيرة إلى أشياء تطلب لذاتها بغض النظر إلى نتائجها، وأخرى تطلب لذاتها و نتائجها معا، أنا اللذات وهي عند أفلاطون غالبا ما تصحبها الأفكار الزائفة وهي نفسها قد تكون زائفة أو هناك حالة محايدة لا هي لذة ولا ألم واللذة لا يمكن أن تكون هي الخير إلا أنها متولدة فهي تؤخذ من أجل شيء اخذ عن ذاتها.

أما الفضائل عند "أفلاطون" فهي أربع هي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة ووظيفة العدالة أن تحفظ النظام والتناسب بين الفضائل الثلاث الأولى:

فالحكمة فضيلة العقل، والعفة فضيلة النفس الشهوانية، وأما الشجاعة فهي وسط بينهما، وهي فضيلة النفس الغضبية، فإذا ما تحقق التوازن أي العدالة بين قوى النفس وفضائلها، حصلت النفس على السعادة.[2]

---

(1)– خالد حربي، الأخلاق بين الحلال والحرام والصواب والخطأ،«دراسة مقارنة بين الفكريين الإسلاميين والغربي»، ب ط، كلية الأدب، جامعة الإسكندرية، د ت، ص 77–78.

(2)– نفسه ،ص78، 79. انظر إلى فائزة أنور أحمد شكرى، المرجع السابق،،ص 95–96.

ويصنف "أفلاطون" أن الإنسان الذي ينبغي تحقيق السعادة والوصول إلى الحكمة يجب أن يصغي إلى توجيه الحكماء الذين يعرفون هذا الأفاق المثالية وهذا يستطيع المرء أن ينبه التوافه والملذات العابرة، وينشا العدل في رأيه إذا ترتبت العناصر الثلاثة للنفس الإنسانية وفق ما وضعته الطبعة، أما الظلم فينشأ إذا أعطى عنصر فيها سيادة ليست الطبيعة.[1]

ويقول "أفلاطون" إن هذا العالم هو موطن الإنسان، ولكنه في الحقيقة مقبرة "الحسم"و"الكهف" الأوهام المظلمة الذي تفيدنا فيه أغلال العواطف الجامحة، أما عالم المثل وهو عالم الجوهر ومكان كل كما، فلا نجد هناك إلا كل نظام وكل جمال.*

II.3 –رأي أرسطو: (384، 321 ق)

الأخلاق عند "أرسطو" علم عملي يرتبط بالعلم السياسي، ولا يفتح هذا في قيمة الأخلاق إذا أن الدولة أقدر على تحقيق الخير والأخلاق الفاضلة ما دامت الغاية واحدة عند الدولة وعند الأفراد وبعد أن يحدد "أرسطو" معالم الأخلاق كدراسة بين العلوم العملية وصلتها بالسياسة يبدأ في تعيين أفضل المناهج التي تصلح لدراسة السلوك الأخلاقي فنذكر أن المناقشة حول هذا الموضوع ومعرفة السلوك الأخلاقي أن تكون كاملة وواضحة إلا بقدر ما يسمح به مجال البحث إذا أننا لا يجب أن تنشد الدقة في مثل هذا الموضوع، ذلك لأن الأفعال التي يبحث فيها العلم السياسي. والأخلاق فرع منه تكون دائما موضوع اتفاق وليست موضوع تصديق يقتني كما هو الحال في العلوم النظرية مثلا.[2]

حارب "أرسطو" مذهبه اللذة، وأنكر اللذات الفردية الأنانية، وذهب إلى أن أساس الفضائل خضوع الشهوات لحكم العقل، أي تسليم زمام الشهوات للعقل يقودها.

وعرض "أرسطو" لعدة تعريفات للفضيلة نذكر منها:

– الفضيلة هما استعداد مكتسب يتأصل في طبيعة الإنسان ويدفعه إلى العمل الإرادي المتأني وفقا للوسط العدل.

---

(1)– حسين عبد الحميدو أحمد رشوان، مرجع سابق، ص60.

*** ذكر بوتير الشاعر الفرنسي هذه العبارة في قصيدة من قصائده يصفها العالم الآخر "la tout n'est qu'oïdie et beauté"**

(2)– خالد حربي،مرجع سابق،ص 86.

– الفضيلة هي ملكة اختيار الوسط العدل بين الطرفين كلاهما شر الأزل شر بسبب الإخراط والثاني بسبب الشح أو النقص.

– الفضيلة بالنسبة للعين هي أن ترى بوضوح، وبالنسبة للحصان أن يجري جيدا وأن يتحمل راكبه، أما فضيلة الإنسان الأمين في أداء الوظيفة التي يختص بها ولكي يكون بها فاضلا، فإنه يستلزم تنمية بعض الفضائل الأخلاقية وممارستها حين تصبح جزء من عادات الإنسان، فليس الكريم هو من أجاد بما عنده مرة، ولكنه من تعود الجود حين أصبح من طبعه.

ولكن يصبح الإنسان فاضلا، فإنه ينبغي أن يتجنب طرفين، الطرف الأول محاولة استقبال الشهوات، والطرف الثاني إطلاق العنان لها والانهماك فيها إنما الفضيلة الاعتبار، فلا تطغى أحدهما إلى الآخر.

إن كل فضيلة عند "أرسطو" هي اختبار "الوسط العدل" إنه وسط بين رذيلتين، إفراط يجب تجنبه وتفريط أي نقص يجب تلاقيه، فالشجاعة وسط بين التهور والحين والكرم وسط بين الشرف والبخل، والعفة وسط بين الفجور والجمود.[1]

والعدل عند "ارسطو" هو "الفضيلة" التامة ولكنه ليس فضيلة شخصية، لأنه معتمد إلى الغير، بل هو أهم الفضائل، فكل فضيلة توجد في طب العدل، غنه فضيلة تامة لأن العادل يمكن أن يحقق العدل في حق الغير لا لنفسه فحسب، بل لكثير من الناس يستطيعون أن يكونوا فضلاء في حق أنفسهم ولكنهم غير أهل للفضيلة فيما يتعلق بالغير...حينئذ لا يمكن اعتبار العدل مجرد جزء من الفضيلة، بل إنه الفضيلة كلها، وأن الظلم الذي هو ضده ليس واحد من الرذائل بل هو الرذيلة بتمامها.

واهتم "ارسطو" بتعريف السعادة وجعلها هدفا وغاية، فهي الخير الأقصى أو الأسمى أو الأعلى، وعرض لأنواع الخيرات، وهي الخيرات الخارجية للثروة، والجاه، أما خيرات النفس فهي ما يطلبه لذاته لا لشراء أخر وهي حياة التأمل[2] والتفكير ويشرف عليها العقل، وخيرات البدن وجماعها اللذة ، أما الخير الأعلى فهو السعادة.

والفعل الخلقي عند "ارسطو" يكون خيرا لا لأنه خير وفضيلة، وإذا كان الخير الأسمى هو السعادة، فإنها كما يقول "ارسطو" تفترض النشاط والحيوية فالإنسان الذي يعيش في خمول ويقضي حياته في ثبات عميت لا يمكن أن

---

(1)– حسين عبد الحميد واحمد رشوان، مرجع سابق، ص 63–64، وأنظر إلى فائزة أنوروأحمد شكرى، مرجع سابق،ص97.

(2)– أنظر احمد عبد الحليم عطية،مرجع سابق، ص64.

يكون سعيدا ولكن أي أنواع النشاط نمارسها ويقول "ارسطو" أي الوظيفة الذي يؤديها الإنسان، إذا ما أداها بإتقان امتلأن نفسه بالغبطة والسعادة لأنه استطاع أن يبرز مواهبه.

وقد اعترض على نظرية "الوسط العدل" لأرسطو، ذلك أن كثيرا من الفضائل لا يظهر فيها أنها وسط بين رذيلتين كالصدق والعدل، فليس هناك الأصدق وكذب وظلم وعدل.

4.II – الأخلاق عند فلاسفة الإسلام:

أ. أبو نصر الفارابي: (257–339هـ):

تستمد نظرية "الفارابي" في الأخلاق من النظرية اليونانية الأخلاقية بصفة عاملة تلك التي ترى في السعادة الخير الأقصى للحياة الإنسانية بكافة أنشطتها كما أنها تتبع بصفة خاصة موقف "أرسطو" الأخلاقي فالأخلاق عند كل من "الفارابي" وأرسطو علم عملي يقوم على ممارسة الأفعال المحمودة وإتباع القدوة الصالحة لاكتساب ملكة الأفعال الخلقية، فكل إنسان حاصل على القدرة على فعل الخير، ولكنه ينميها بالفعل والممارسة، وكذلك فإن الأخلاق الفردية عند "أرسطو" و"الفارابي" تخضع للعلم المدني أي لعلم السياسة فكان السلوك الفردي يتفرع من السلوك الاجتماعي، وهكذا يظهر الارتباط الوثيق بين نظرية "الفارابي" في المدينة الفاضلة ونظريته الأخلاقية من حيث أن السعادة غاية الفرد وغاية الاجتماع المدني على السواء، "فالفارابي" حين رسم المدينة الفاضلة، أكد على الجانب الأخلاقي فيها كما أكد على احتياج الإنسان إلى التعاون، فالناس مفطرون على التعاون قدما بينهم بالاجتماع الإنساني ضروري وقد أوضح "الفارابي" العلاقة بين المدنية الفاضلة و السعادة من حيث إن المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدنية الفاضلة، والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة ظل هو الاجتماع الفاضل، إذن فالشرط الأول في المدينة الفاضلة هو التعاون على بلوغ السعادة. [1]

أتى الفضائل عند"الفارابي" فهي صنفان: خلقية ونظيفة، فالنظيفة هي فضائل الجزء الناطق مثل الحكمة، والعقل والكيس والذكاء وجودة الفهم والخلقية هي فضائل الجزء النزوعي مثل العفة والشجاعة والسخاء والعدالة وكذلك الرذائل تنقسم هذه القسمة وفي حيز كل قسم منها أضداد هذه التي عدت وأغراضها.

---

(1)– جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية،ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986، ص168– 170. انظر إلى محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ب ط، د ت، ص348.

والفضائل والرذائل الخلقية إنما تحصل وتتمكن في النفس بتكرير الأفعال الكائنة عن ذلك الخلق مرارا كثيرا، في زمن ما واعتيادنا لها فان كانت تلك الأفعال خيرات كان الذي يحصل لنا هو الفضيلة، وان كانت شرورا ، كان الذي يحصل لنا هو الرذيلة، على مثال ما عليه الصناعات، مثل الكتابة، فإن بتكريرنا أفعال الكتابة مرارا كثيرة واعتيادنا لها تحصل لنا صناعة الكتابة، فإن كان ما نكرره و نتعوده من أفعال الكتابة أفعالا ردية، تمكنت فينا كتابة سوء، وان كانت أفعالا جيدة، تمكنت فينا كتابة جيدة.

ويرى "الفارابي" أن الإنسان لا يمكن أن ينظر بالطبع ذا فضيلة ولا رذيلة، كما لا يمكن يفطر بالطبع معدا نحو أفعال فضيلة أو رذيلة، أما بالنسبة لفرق بين الضابط لنفسه والفاضل، ذلك أن الضابط لنفسه، وإن كان يفعل الأفعال الفاضلة، فإنه يفعل الخيرات وهو يهوى أفعال الشر و يتشوقه، ويجاذب هواه، ويخالف بفعله ما تنهضه إليه هيئته وشهوته، ويفعل الخيرات وهو متأذ بفعلها، والفاضل يتبع بفعله ما تنهضه إليه هيئة وشهوته، ويعمل الخيرات وهو يهواها و يشتاقها ولا يتأذى بها بل يستلذها، وذلك مثل الفرق بين الصبور على الألم الشديد الذي يجده، والذي لا يتألم ويحس الألم، وكذلك بالعفيف والضابط لنفسه، فإن العفيف إنما يفعل ما توجيه السنة في المأكول والمشروب والمنكوح، من غير أن يكون له شهوة وشوق إلى ما هو زائد على ما توجيه السنة، والضابط لنفسه شهواته في هذه الأشياء مفرطة، وعلى غير ما توجيه السنة، ويفعل أفعال السنة وشهوته منها غير أن الضابط لنفسه يقوم مقام الفاضل في كثير من الأمور.[1]

إن صاحب الخلق المحمود عند "الفارابي" هو الذي لا تميل نفسه إلى شيء من الرذائل والضابط لنفسه يختلفان في استحقاق الفضل، فمدبر المدن إذا كان ذا أخلاق محمودة وصارت المحامد في نفسه ملكات، فهو أفضل من أن يكون ضابط لنفسه، والعلة في ذلك أن الضابط لنفسه والقيم بالناموس يستحق فضيلة الاجتهاد وان هفا هفوة وكان مدينا لا رئيسا فإن الرؤساء يقومونه، ولا يعدوه إثمه ولا فساده، وإن صلاح الرئيس عام لأهل مملكته، فإذا هفا هفوة تعدى فساده إلى كثير غيره، فيجب أن تكون الفضائل عنه طباعا وملكات، وبكفيه ثواب ما يثبت فيمن يقومهم.[2]

أما الاعتدال عند الفارابي" هي الأفعال التي هي خيرات و هي الأفعال المعتدلة المتوسطة بين طرفين، هما جميعا شد احدهما إفراط والآخر نقص وكذلك الفضائل فإنها هيئات نفسانية، وملكات متوسطة من هيئتين وكلتاهما رذيلتان، إحداهما أزيد والأخرى أنقص، مثل العفة فإنها متوسطة بين الشر وبين عدم الإحساس باللذة، فإحداهما أزيد وهو الشر والأخر نقص والسخاء متوسط بين التقتير والتبذير، والشجاعة متوسطة بين التهور والجين والتطرق متوسط

(1)– ماجد فخري،الفكر الأخلاقي العربي (الفلاسفة الخلقيون) ، ج2، ط1،دار الأهلية للنشر والتوزيع1979، ص 69– 70.
(2)– نفسه، ص71.

في الهذل واللعب وما جانسهما، بين المجون والخلاعة وبين القدامة والتواضع خلق متوسط بين التكبر وبين التخاسس أو الحرية والكرم متوسط بين البذخ والصلف والطرمذة وبين النذالة والحلم متوسط بين إفراط الغضب وبين أن لا يغضب على شيء أصلا، والحياة متوسط بين الوقاحة والحصر، والتودد متوسط بين التمقت وبين التملق، وكذلك سائرها.

أما بالنسبة لجذع من الموت فترى "الفارابي" إنما بفوتــه بالموت أن يستكثر من فعل ما يزداد به سعادة بعد موته، ولذلك يكون جزعه من الموت ليس جزع من يرى انه يناله بالموت سر عظيم جدا، أو الجزع من يرى أنه لفوته بالموت خير عظيم كان قد حصل له إلى وقت موته هو معه ولا يفارقه بالموت بل إنما يكون جزعه من يرى أن الذي يفوته هو ربح ما كان يناله بقى يزيده على ما حصل له من الخير، فهو قريب من جزع من يرى أن الذي يفوته ليس رأس مال بل ربح كان يقدره ويرجوه، فلا يفزع أصلا بل يحب البقاء ليزداد من فعل الخير الذي يزداد به سعادة، ليس ينبغي للفاضل أن يستعجل الموت بل ينبغي أن يحتال في البقاء ما أمكنه ليزداد من فعل ما يسعده، ولئلا يفقد أهل المدينة نفعه بهم بفضيلة، وإنما ينبغي أن يقدم على الموت إذا كان نفعه لأهل المدينة لموته أعظم من نفعه لهم في المستقبل حياته.

إذا مات الفاضل أو قتل، فلا ينبغي أن يناح عليه، بل يناح على أهل المدينة بمقدار غنائه فيها، ويغبط بالحال التي صار إليها على مقدار سعادته، ويخص المجاهد الذي قتل في الحرب أن يمدح مع ذلك على بذله نفسه دون أهل المدينة وعلى إقدامه على الموت.[1]

ب– ابن سينا (370–428هـ):

يندرج علم الأخلاق في تقييم "ابن سينا" للعلوم تحت العلوم العملية، والتي تسعى إلى تدبير الخير، وغايتها العمل وفقا للمعرفة النظرية، ولها أربعة أقسام هي: علم الأخلاق وعلم تدبير المنزل وعلم تدبير المدينة، وعلم تدبير النبوة.[2]
ويخصص "ابن سينا" فصلا من كتابه الإشارات [3] ، ليتناول فيه السعادة التي هي اللذة العقلية ثم يخصص فصلين أخريين للحديث عن اللذة الباطنية العقلية التي يقول عنها إنها أعظم من اللذة الحسنة، وما اللذة سوى نيل الخير المناسب لكمالنا ذلك الخير الذي يشتمل عليه المعقول، وكل قائم يتوق إلى تنعيم كماله و يتلذذ بما هو سبب لكماله

(1)– ماجد فخري، مرجع سابق، ص73.
(2)– محمد علي أبو ريان،مرجع سابق، ص406.
(3)– ابن سينا،الإشارات، ج2، ص91. نقلا عن أبو ريان، مرجع سابق، ص459.

فكمال الجوهر العاقل أن يتمثل فيه جلية الحق بقدر ما يمكنه أن ينال منه لبهائه الذي يخصه، ثم يتمثل فيه الوجود كله، على ما هو عليه مجردا عن الثواب ولقد تحدث "ابن سينا" عن مجموعة من الفضائل إذا تحلى بها الإنسان استقام أمره في الحياة الدنيا، وهذه الفضائل هي: العفة، والقناعة، والسخاء والشجاعة، والحلم، والصدق... وغيرها.

أما العفة[1] وهي أن تمسك عن الشوق إلى فنون الشهوات المحسوسات من المأكل والمشرب والمنكح، واللإنقياد إلى شيء منها بل تقهرها وتصدفها حسب الرأي الصحيح، وأما القناعة، فهي أن يضبط قوته عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية وقدر الحاجة من المعاش والأقوات المقيمة للأبدان، وأن لا يحرص على ما يشاهد من ذلك عند غيره...وأما السخاء، فإن سلسل قوته لبذل ما يحوزه من الأموال التي لأهل جنسه إليها حاجة، وحسن المواساة بما يجوز أن يواسي به منها، ومن الفضائل الغضية، فالشجاعة هي الإقدام على ما يحب من الأمور التي يحتاج أن يعرض الإنسان نفسه لها لاحتمال المكاره والاستهانة بالآلام الواصلة إليه منها، كالذب عن الحريم وغير ذلك، وأما الصبر فهو أن يضبط قوتها-أي النفس- عن أن يقهرها ألم مكروه ينزل بالإنسان، ويلزمه في حكم العقل احتماله أو يغلبها حب مشتهي يتوقف الإنسان إليه ويلزمه في حكم العقل اجتنابه حتى لا يتناول على غير وجهه، وأمـــا الحلـــم، فهو الإمساك عن المبادرة إلى قضاء الغضب فيمن بجني عليه جناية يصل مكروها إليه، وقد يسمي هذا كرما وصفحا، وعفوا وتجاوز واحتمالا وتثبيتا وكظم غيظه، ويجب على المرء أن يهجر الكذب قولا، و تخيلا، حتى تحدث للنفيس هيئة صدوقه، فيصدق الأحلام والفكر، وأن يجعل حب الخير للناس والمنفعة فضـــــلا إليهم، وعشق الأخيار، وحب تقويم الأشرار ويجب تقويم الأشرار وردعهم، أمرا طبيعيا جوهريا.

---

(1)– ابن سينا، في علم الأخلاق، نقلا عن مقدمة ماهر عبد القادر لكتاب مقدمة في الأخلاق لمابوت ، ب ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985 ، ص55.

والشر عند "ابن سينا" [1] هو العدم، والشر المطلق هو العدم المطلق، ولو كان شر شيء من الأشياء أكثر من خيره ليظل وجود ذلك الشيء، وليس معني ذلك أن شر الشيء من الأشياء أكثر من خيره ليظل وجود ذلك الشيء، وليس معني ذلك أن الشر غير موجود، بل هو موجود، ولكنه لا يغلب علم الخير، وسبب وجود الشر في تولد الكثرة عن الوحدة والشر من الخير، فالشر إذن عند "ابن سينا" يرجع إلى طبيعة الإمكان المندرجة فيه، لا إلا وجوب وجوده بالله.

III.- دور الأخلاق في تهذيب النفس:

في ضوء كل ما تقدم تعريفه، نستطيع أن نقول: أن علم الأخلاق لا يقتصر بحثه في المجال النظري كما يبدو للبعض فهو مرتبط بالجانب العملي كذلك، فهو يهدف إلى تحقيق الخير الأعظم لأنفسنا، وأمتنا والإنسانية جمعاء.

إذن أن الغاية القصوى التي تسعى إليها الأخلاق هي تغيير وتهذيب سلوك الإنسانية من أدرانها الفاسدة حتى تشعر بالسعادة الخلقية التي هي غاية الإنسان، وإن كل الأشياء الأخرى ما هي إلا وسيلة تؤدي إليها لأنها غاية في حد ذاتها مما لا شك فيه أن حضارتنا اليوم أصبحت تعاني انشطارا واستلابا بين القيم الأخلاقية والتقنية والمادية.

وحسبنا أن نشير هنا في هذا المقام إلى أن الاضطرابات الموجودة في الوقت الراهن بين الأفراد وبين الدول، تعد نتيجة حتمية، لعدم وجود وعي أخلاقي وفي ضوء هذا، يظهر الدور الايجابي الذي يجب أن تلعبه القيم الأخلاقية لتحقيق السعادة القصوى التي يحلم بها الإنسان في علاقة سلوكه سواء كانت هذه العلاقة على مستوى الفرد أو الأمة أو المجتمع العالمي بتوجيه وترشيد سلوك البشرية، ومن هنا نقول: أن بناء الحضارة المتطورة والمتمثلة في البقاء والاستمرار لهي في حاجة إلى الأخلاق.[2]

---

(1)- جميل صليبا، مرجع سابق، ص236- 237.

(2)- بكير بن السعيد اعوشت، أضواء على الأخلاق الإسلامية والمعاصرة، ط1 ،دار البعث للطباعة والنشر، 1984، ص20- 21.

ومنه فالأخلاق أمر لابد منه لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية، فالإنسان دائما بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق الإنسان حاجته الاجتماعية ويقف أمام ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها على نفسه وعلى غيره بالخير.

إننا ندرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع وساد فيه الخيانة والغش والكذب والسرقة وسفك الدماء والتعدي على الحرمات والحقوق والفسق بكل أنواعه، وتلاشت المعاني الإنسانية في علاقات الناس، فلا محبة ولا مودة ولا تراهه ولا تعاون ولا تراحم ولا إخلاص.

إنه بلا شك سيكون مجتمعا لا يمكن للحياة أن تدوم فيه، حيث سيكون جحيما لا يطاق، وسيتحول الناس إلى وحوش ضارية وسيشقون شفاء ليس بعده شفاء لأن الإنسان بطبعه محتاج إلى الغير، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والتكبر والأنانية والانتقام، فإذا نزع إلى ذلك أهلك الحرث والنسل[1]، وإذا تولى سعي في الأرض في لنفسه فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[2].

إن سيادة خلق مثل "العدالة" في حياة المجتمع سوف يكون له آثاره العظيمة، إذ سيؤدي إلى سيادة الأمن والاستقرار والمحبة والمودة والنشاط العملي والفكري، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى ازدهار الحياة وتمدينها.

أما إذا كان الأمر بالعكس، وانعدمت العدالة فسوف يؤدي هذا بالضرورة إلى انتشار الرعب والحقد والاضطراب والتناحر و قلة الإنتاج، وفي هذا يقول الماوردي في القاعدة الثالثة من القواعد التي تصلح بها الدنيا دورا أما القاعدة فهي عدل شامل يدعوا إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتعميره البلاد و تنمو به الأموال ويكثر معه النسل يؤمن به السلطان... وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور.[3]

---

(1)– محمد عبد القادر حاتم ،مرجع سابق ، ص 14 –15.

(2)– القرءان الكريم، سورة البقرة، الآية من: 5– 6.

(3)– أبو الحسن الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ب ط ،د ت، ص130– 131.

ومنه فلأخلاق دور كبير، لأنها تتصل بالناحية الروحية عند الإنسان وتوفر له الحياة المثالية التي يجب أن يحياها ولا ينتظر من كل إنسان أن عالما أو يلم بنظريات العلم، ولكن ينتظر منه أن يدرك معنى الواجب معنى الواجب وأن يهدف في أعماله وتصرفاته إلى تحقيق المبادئ الخلقية لذلك فإن سائر الأخلاق من المسائل التي يهتم بها كل إنسان، فكل فرد محتاج لأن يبني تصرفاته على الأخلاق ويبررها بالرجوع إلى مبدأ أخلاقي وإذا لم يتخذ الإنسان لنفسه موقفا بالنسبة للمشاكل وفي ذلك يقول: باسكال "أن السلبية هي أساس التدهور والسقوط فوق أنها نفاق وجبن".

ومنه فيتعين على كل إنسان إذن أن يتخذ لنفسه مبدأ خلقيا فيسير عليه ويقيس به تصرفاته وأفعاله ويحكم به على تصرفات الآخرين وأفعالهم.[1]

(1)– عبد الوهاب جعفر،مرجع سابق، ص16.